الانحرافات المتعلقة بالله سبحانه وتعالى

توطئة :

إن الإيمان بالله ـ جل وعلا ـ هو أساس العقيدة الإسلامية وأصل كل الأصول وقاعدة كل صغير وكبير في هذا الدين القويم ، وهو الركن الأول من أركان الإيمان الستة ، ولهذا جاء الإسلام ـ ابتداءً ـ ليؤسس عقيدة توحيد الله رب العالمين في مقابل عقائد الشرك والكفر والوثنية ، جاء الدين ليغير هذا الواقع المتردي الذي انحطت فيه البشرية وينشئ واقعاً آخر جاء ومعه نظام شامل متكامل ، كلياته وأجزاؤه وأصوله وفروعه متلاحمة غير منفصلة .

وما تحاوله الجاهلية المعاصرة هو إبطال حق الله تعالى في الهيمنة على أعمال الإنسان ، وتأليه الإنسان ليضع النظم والمناهج والقيم والموازين من تلقاء هواه .

ولا ريب أن هذا مناقض للأسماء بالله ولشهادة أن لا إله إلا الله وهي صورة مكررة للتناقض القائم بين الإسلام والجاهلية من عهد نوح عليه السلام ـ إلى عهد محمد ﷺ إلى زماننا هذا .

وأساس تكرار هذه الصورة من التناقض بين التوحيد والوثنية والإسلام والجاهلية هو أن هناك تصورين أساسيين متناقضين في جميع الأزمنة والأمكنة في القديم والحديث :

التصور الأول: يقوم على إفراد الله بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات .

التصور الثاني : يقوم على رفض ألوهية الله تعالى وربوبيته وجحد أسمائه وصفاته .

وهذان التصوران المتناقضان لا يمكن أن يلتقيان مطلقاً ، وأساس الصراع وميدانه هو التناقض الموجود بين هذين الاتجاهين في أصل التصور والتلقي والفهم ، وكل ما يتبع ذلك من مفردات فهو فرع عن هذا الأصل.

فمن هنا نلاحظ أن القضية هي قضية تصادم وتناقض بين منهجين وتصورين وعقيدتين وليست القضية قضية تجديد وتقليد أو تراث ومعاصرة ، وسوف يتبين في هذا الباب الانحرافات الحداثية المتعلقة بالله سبحانه وتعالى ، سواء في مجال الربوبية أو الألوهية أو الانحرافات المتعلقة بالأسماء والصفات .

أولاً : " الانحرافات المتعلقة بالربوبية ":

توحيد الربوبية يقوم على ثلاثة أسس ، هي الاعتقاد الجازم بأن الله هو الخالق المالك المتصرف ، ويتفرع على هذه الأمور الثلاثة كل ما يتعلق بتوحيد الله بأفعاله .

وإذا كانت قضية وجود الله من المسائل المسلَّم بها ، فإن العصر الحاضر غلب فيه الإلحاد على أهل الكفر المعاصرين ، أما في الزمان الغابر ، فقد كان الانحراف يتمثل في الشرك ، وأما الملحد فهو الذي ينكر وجود الله تعالى ، وهذا الذي غلب عليه كثير من أصحاب المذاهب الفلسفية والسياسية والأدبية والفكرية المعاصرين وسبب ذلك ما يلي :

١- الدور الخطير الذي قامت به الكنيسة في إفساد دين النصرانية المنزل من عند الله.

٢- قيام الكنيسة التي أصبحت مناراً للشرك في حرب العلم والعقل والتجربة.

٣- فرض الكنيسة على الناس أموالاً يقدمونها للكنيسة إلزاماً ليأخذها الرهبان.

٤- احتكار الكنيسة لحق الصلة بين الإنسان وربه وأن التوبة ونيل الرضوان عن طريقهم .

٥- استبعاد الناس وإذلالهم تحطيم المقومات الشخصية الإنسانية .

هذه الأسباب وغيرها أدت إلى الإلحاد الذي انتشر اليوم وقامت على فكرته دول ومناهج وجامعات وقد تلقى الأتباع هذا الإلحاد بحماس أشد من حماس أصحابه الأصليين ، وهذه الضلالات يقوم على تأصيلها ونشرها والدفاع عنها أدباء الحداثة.

والحقيقة أنها أطلقوا عليه تقدماً ومعاصرة ، ليس إلا تعبيراً عن الإلحاق بالقوة في المجال الثقافي والفني تبعاً للإلحاقات الاستعمارية السابقة العسكرية والسياسية والاقتصادية .

لقد انغمس المثقف العربي الحداثي في التبعية الاعتقادية والفكرية الغربية ومع ذلك ينادي بالوطنية والقومية ويتشدق بالحرص على الأمة والمجتمع من أمثال لويس عوض ، ومحمد جمال باروت ، ومحمد مندور ، ويوسف خال ، ومحمد الأسعد ، وغيرهم ممن ارتموا في أحضان الغرب وانطمست هويتهم الذاتية مع شعورهم بفضاعة الارتماء لم يفتروا بمحاربة ومهاجمة ما يسمونه التيار التقليدي السلفي فها هو يوسف الخال يقول :

بزغت فكان أروع ما تجلى ∴ شعاع الغرب أي شعاع خير
على لبنان من أمدٍ وهلاً ∴ له في كل جارحة مصلى
يعيد إلى ربانا الغرب كهلاً ∴ مددت يداً نصافحها وفاءً
يعلمنا - وعلمناه طفلاً ∴ فأنت أحق من يوفي وأولى

فعند التأمل في أقوال الحداثيين واعتقاداتهم لا نجد أنهم بارحوا أئمة

المادية الإلحادية ، وإذا أردنا بحق أن نعرف خلفيات الانحرافات الاعتقادية والفكرية والسلوكية عند هؤلاء فإننا لابد أن نطلع على المذاهب والعقائد والفلسفات الغربية لنجد أن أتباعهم من أبناء المسلمين ليسوا إلا مسخاً غربياً لأئمة الانحرافات الغربية .

ففي قضية وجود الله تعالى لا يخرج ملاحدة الحداثة العربية عن دائرة المذاهب الشكية واللاإرادية ، والمادية بجوانبها العديدة وأوجهها المتنوعة: المادية الاقتصادية ، والمادية التاريخية ، والمادية الجدلية ، والمذهب الطبيعي بشتى اتجاهاته .

وبشكل عام يتلقى رواد الحداثة العربية المنكرون لوجود الله وربوبيته المذهب الإلحادي ونجد أسماء أكابر مجرمي الإلحاد تتردد في كتبهم وتتحول عندهم إلى رموز مقدسة وشخصيات متبعة ، وأظهر أئمة الإلحاد الذين ظهر صدى إلحادهم هم : توماس هوبز، ديفد هيوم ، ديني ديدرو ، هيولباخ بول هنري ، شوبنهاور ، فيورباخ ، داروين ، كار ماركس ، انجلز ، بوخز ، نيشته ، سنسر ، برتراندراسل ، هايدجز ـ سارتر .

والانحراف الاعتقادي في الأدب المعاصر في قضية وجود الله تعالى وربوبية هي :

١ – نفي وجود الله تعالى أو التشكيك في ذلك .

٢ – نفي كون الله تعالى ربًّا خالقاً مدبراً " نفي توحيد الربوبية " .

٣– نسبة الأبدية للمخلوق والقول بأزلية العالم والخلق .

٤ – الزعم بأن الوجود عبث .

٥ – نسبة الخلق إلى غير الله تعالى ، وتسمية غير الله خالقاً .

٦ – نسبة الربوبية إلى غير الله تعالى .

٧- السخرية والتدنيس والاستخفاف بالخالق وتوحيد الربوبية .

والآن إلى تفصيل ذلك وإثبات شواهده :

أولاً : نفي الحداثيين لوجود الله تعالى أو التشكيك في ذلك :

ويقوم ذلك على إبعاد الثنائية عن العالم والإنسان ، وإزاحة مفهوم أن الكون ينقسم إلى خالق ومخلوق .

ثانياً : نفي كون الله ـ جل وعلا ـ خالقاً مدبراً ونفي توحيد الربوبية :

وهذا شائع في نتاجهم الأدبي والنقدي والفكري ، واستعادة لدروس أساتذتهم الماديين وترديداً أجوفاً وشقشقة عمياء ، وتجاويف فكرية خاوية على عروشها ، يقول صنم الحداثة أدونيس:

مسافر تركت وجهي على

زجاج منديلي

خريطتي أرض بلا خالق

والرفض إنجيلي

ثالثاً : نسبة الأبدية للمخلوق والقول بأزلية العالم والخلق :

وهذا مترتب على ما سبق في الثانية ، وعقدة هذا القول أن أصحابه لا يؤمنون بشيء غير محسوس أو غائب عن الوعي البشري ، ومن هنا بدأت هذه الخرافة في أدمغة الماديين ، ويمكن أن يقال لهم باختصار : ليس كل ما غاب عن الوعي الحسي أو الوعي البشري يعد معدوماً ، فعدم العلم بالشيء لا يدل على العلم بعدمه .

وقد حظي أدونيس بكثير من الأشعار في هذا المضمار، وفي معرض حديثه

عن جبران يعده طليعة الحداثيين العرب.

ويوجز أدونيس الدلالات التي أرساها جبران شعره في نقاط هي:

(أ) ليس العالم شيئاً مخلوقاً منتهياً ، وإنما هو اندفاع متحرك لا ينتهي ؛ إنه يولد باستمرار .

(ب) رفض الشريعة أو القواعد المسبقة على جميع المستويات .

(جـ) الإنسان كائن خلاق يشارك في الخلق الإلهي ، وليس الخلق الشعري إلا صورة للخلق الكوني بكامله .

(د) ليس الشعر مجرد انفعال أو تعقل ، وإنما هو رؤيا شاملة للكون وبحث دائم عن المطلق .

(هـ) الحداثة انفصال.. انفصال على مستوى المطابقات بين المرئي واللامرئي

ومن هذا النص نستخلص عدة أمور ذات أهمية بالغة في تصور الحداثة مبدأ وهدفاً :

الأمر الأول : نسبة الأزلية إلى العالم ونفي كونه مخلوقاً لله تعالى .

الأمر الثاني : الحداثة بعد أن تأسست على الإلحاد سعت لهدم الشريعة ورفض نظمها .

الأمر الثالث : أن الشاعر والإنسان ليسا مخلوقين بل خالقين .

الأمر الرابع : الحداثة ليست مجرد شعر وأدب وتحديث في الإشكال ، بل هي رؤيا شاملة للكون والحياة والإنسان ، وعقيدة شمولية مضادة للتوحيد والإيمان والشرع والدين .

الأمر الخامس : الانفصال عن الله وشرعه ودينه ، والعقيدة التي جاء بها الإسلام ، أو ما عبر عنه أدو نيس الانفصال بين المرئي واللامرئي .

رابعاً :الزعم بأن الوجود عبث :

هذه العقيدة الضالة فرع عن العقائد الإلحادية السابقة ، وهي نفي وجود الله تعالى ، ونفي كونه سبحانه ربًّا خالقاً ، ونسبة الأبدية إلى المخلوقات .

ومن مفردات هذه العقيدة العبثية الفوضوية ما نقرؤه في كتابات الحداثيين من دعوة إلى تدمير بنية المجتمع ، ورفض رسالة الأدب والفن ، والحماسة لتفجير اللغة وامتداح الاغتراب والعدمية والعبثية .

ويمثل هذا المذهب أنيس الحاج ، ونازك الملائكة التي تحفظت على الحداثة عقيدة ومسلكاً ومحاولاتها كسر حدتها ، تقول في قضية عبث الحياة والوجود والشك في غاية الوجود الإنساني :

هكذا جئت للحـــــياة وما أد ..ري إلى أين سوف تمضي الحياة
وسأحيا كما يشـــــاء لي المجـ ..ـهـول حـيرى تلهو بي الظلمات
ها أنا الآن حيرة وذهـــــول .. بين مـــــاض ذوى وعمر يمر
لست أدري ما غايتي في مسيري .. آه لو ينجـــلي لعينيّ ســـتر

- ويمثل الجيل الثاني من الحداثيين العرب شخصيتان يمكن أن نأخذ منهما نموذجين :

الأولى : محمود درويش شاعر فلسطيني حداثي شيوعي هالك ، عبر عن هذه العبثية بقوله : " إنا خلقنا غلطة في غفلة من الزمان".

الثاني : النصراني توفيق صائغ العميل للمخابرات الأمريكية القائل :

" لففت العباءة حول .. تعكزت إلى القفر إلى قمتي الجرداء ... حيث الغبار ولا الإله".

خامساً : نسبة الخلق إلى غير الله وتسمية غير الله خالق :

وهذا مما دأب عليه أهل الأدب العربي المعاصر ، واجترؤوا عليه حتى أصبح من شبه المسلّمات لديهم ، فيسمون الإنسان خالقاً وكذلك الشاعر والفنان ، ويدعون أن الإبداع خلق ثان للكون .

ومن هنا فالحداثة ليست مذهباً أو عقيدة أو مدرسة واحدة ، ولا يمكن أن تنحصر في مذهب أو عقيدة أو مدرسة ، الحداثة هي الوضع المناقض تماماً للوحدانية ، أي وحدانية أدبية كانت أو غير أدبية عقائدية أو غير عقائدية .

وخلاصة القول في كل ما سبق : أن قضية نسبة الخلق إلى غير الله وتسمية غير الله خالقاً ما هو إلا اقتباس من الوثنيات اليونانية الإغريقية ، التي قامت على تعدد الأرباب ، وهؤلاء الذين يزعمون الانعتاق من التقليدية والنمطية والماضوية حسب تعبيراتهم ، نجدهم بكل صراحة يرتمون في تقليد الهوس الوثني والخيال الأسطوري ، ثم يزعمون بعد ذلك أنهم قد قطعوا شوطاً في التقدم والارتقاء، وذلك بـ " إحلال التنوع والتمايز مكان الوحدانية وإحلال المتغيرات مكان الثوابت وفك الاشتباك بين الطبقات والمؤسسات والعقائد ".

فلا غرابة حينئذ أن نجد هؤلاء التلاميذ البررة للفكر الغربي يرددون مقولات أساتذتهم وينقلونها نقلاً مترجماً إلى لغة العرب .

ومن هذا المنطلق نجدهم يحاربون الوحدانية ويشيدون بالوثنية ويعتبرون اعتقاد التوحيد والوحدانية في خلق العالم وفي نظام الحياة سبب للتردي والضعف والخمول والرجعية ، ويعدون التعدد الإلهي الوثني سبب للتقدم والازدهار .

وعلى هذه القاعدة الإلحادية الجوفاء سار الحداثيون في التنظير والممارسة ، وسوف أسرد فيما يلي بعض الشواهد على هذه القضية :

ولتكن البداية مع كاهن الحداثة "أدونيس"القائل في وصف ثورة أهل الهدم الحداثي:

بلى في بلادي خالقون
وساع كآفاتها الواسعة
تقيون كالشمس في عريها
فتيون كالأنجم الطالعة

ثم يسأل أسئلة المستنكر :

لمن جيلنا يحرق البخور لمن يسجد
وأي إله ترى يعبد
لمن ينتمي ويشد يديه اعتدوا
ويحيا له صحة وجهادا

ويقول أيضا :

أخلق أرضا تثور معي وتخون
أخلف أرضا تحسستها بعروقي
ورسمت سماواتها برعدي
وزينها ببر وقي
حدها صاعق وموج
ورایاتها الجفون

obeikandi.com

وفي موطن آخر يتطاول الباطني على مقام الربوبية فيقول :

" أخلق للريح صدراً أو خاصرة
وأسند قامتي عليها
أخلق وجهاً للرفض وأقارن بينه وبين وجهي ..
كالهواء أنا لا شرائع لي-
أخلق مناخاً تتقاطع فيه الجحيم والجنة
أخترع شياطين أخرى ... "

ويقول عبد العزيز المقالح :

صار الله رماداً
صنماً
رعباً في كف الجلادين
أرضاً تتورم بالبترول
حقلاً ينبت سبحات وعمائم
بين الرب الأغنية الثورة
والرب القادم من هوليود
في أشرطة التسجيل
في رزم الدولارات
رب القهر الطبيعي
ماذا تختار ؟

obeikandl.com

أختار الله ..... الأغنية الثورة

تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيرا

ويقول نزار قباني :

من ينتقي ؟

لي من كروم المشرق

من قمر محترق

حقاً غريب العبق

آنية مسحورة خالقها لم يخلق

ويقول:

قد كان ثغرك مرة

ربي فأصبح خادمي

ويقول :

لا تخجلي مني فهذي فرصتي

لأكون رباً أو أكون رسولاً

سادسا : نسبة الربوبية إلى غير الله تعالى :

وقد أغرق الحداثيون فيه وبالغوا و حاكوا فيه أساتذتهم من الغربيين ، وجروا في نفس منوالهم ، وتقوم آلهتهم على تعدد الآلهة ، وهي تعود إلى ثقافة الإغريق وفلسفته وعقائده ، وهي آلهة تتصارع وتتقاتل وتموت وتحيا ، وجاءت الحداثة العربية وكانت متشربة إلى أبعد حد بالنموذج الثقافي الشعري الغربي، حيث طرحت إشكالية الحداثة كتأصيل في الهوية الحضارية ، كما يقول محمد

جمال باروت .

وأمثلة هذه الظاهرة كثيرة في كتابات الحداثيين يقول السياب :

ليعو سو بروس في الدروب

عشتار ربة الشمال والجنوب

ويقول البياتي مصرحاً بنسبة الربوبية لغير الله :

عندما استيقظ حبي

فإن ثلج العالم الأسود ربي

وهذا نزار قباني يصف بالربوبية غير الله العظيم فيقول :

أما أبوك؟

ضلال .. أنا لا يموت أبي

ففي البيت منه

روائح رب ، وذكرى بني

ويقول أيضاً :

أيها الرب الرخامي المعلق

أيها الشيء الذي ليس يصدق

دمت للشرق .. لنا

عنقود ماس ..

للملايين التي قد عطلت منها الحواس

وهذا سميح القاسم الفلسطيني الشيوعي الإسرائيلي الهوية أحد أعضاء حزب

" راكاح " الشيوعي يقول:

سيد الكون أبانا

ألف آمنا وبعد

من حقول البؤس هذه الكلمات

.... يا أبانا ، يا أباً أيتامه ملُّوا الصلاة

يا أبانا ، نحن مازلنا نصلي من سنين

يا أبانا نحن مازلنا بقايا لاجئين ..

يا أبانا نحن بعد اليوم لسنا بسطاء

لن نصلي لك كي تمطر قمحاً

لن نداوي بالحجا بات وبالرقية جرحاً

نحن أنجبنا على الحزن كبار الأنبياء

وخلقنا من أمانينا التي تكبر .. ربًّا

شق من مأساتنا للفجر رب ....

ومن مظاهر انحرافاتهم في توحيد الربوبية :

سابعاً : السخرية والاستخفاف بالخالق الرب العظيم ـ جل وعلا ـ والتدنيس لصفة الربوبية :

يقول صنم الحداثة أدونيس في هذا الشأن:

كثيراً حبس الخالق الشمس والقمر تأديباً

كان حين يتوبان

ويستأذنان بالشروق

يأتي إليهما ملاك يأخذ بآذانهما ويطلعهما

من باب التوبة

كان الخالق حين يخرج أنثى إلى الأرض

يبعث إليهما ملاكين

يضع الأول يده في مكان آخر

حين يتعب المكان

يحملانها إلى ظل تحت شجرة المحنة

أمر الخالق ما يسمونه الوطن أن يجلس على كرسي من الزجاج بهيئة السرطان وحوله تماثيل .

سبحان الله تعالى عما يقول الكافرون وعما يصفون .

ففي هذا النص أن الهدم أصل حداثي ، وأول هدم يريدونه هو الإيمان بالله تعالى ، ومن أساليبهم عرض عدميتهم وإلحادياتهم المبتدئة بهدم الإيمان بالله، وجحد وجود الله وربوبيته ، ومن وسائلهم السخرية بالله والاستخفاف بربوبيته وألوهيته ـ جل وعلا ـ .

obeikandl.com